النظرية الوظيفية الجديدة وتحليل البناء الاجتماعي.

د. فتيحة طويل

جامعة بسكرة - الجزائر –

الملخص :

تحاول هذه الدراسة مناقشة وتحليل مختلف أفكار الوظيفية الجديدة، حول كيفية عمل المجتمعات، ولماذا توجد المؤسسات والأعراف؟ وفهم اكمل حول عمل النسق ، خاصة وسط متغيرات الواقع المعقد، من القرارات المتناقضة والتفاعلات والأسباب والنتائج من الكثرة؛ بحيث ستحصل عواقب غير متوقعة لأفعالنا. مما يقتضي تحليل هذا الواقع وفق رؤية متعددة الابعاد، تستند الى التكامل بين مستويات التحليل بعيد المدي ومستويات قصير المدى، كما تطرحه الوظيفية الجديدة. محاولة لفهم المجتمع في شموليته واتساق واقعه، بجميع محدداته البنائية التي توجه الفاعل في موقف الفعل، وكذا بالحالة التي تظهرها الطبيعة النشطة للإنسان، في محاولته تغيير ظروفه أو تعديلها مع امتداد الزمان والمكان. وسيكون ذلك بتحليل متقن مشروط بإبراز خصائص معرفية معينة للنظرية الوظيفية الجديدة، لتحليل جوانب إبريقية كما يطرحها "جفري الكسندر"، و"نيل سملسر"، و .. كأهم منظري الوظيفية الجديدة .

abstract :

This study discusses and tries to analyse the different ideas of " Neofunctionalism" ;how the societies work and why there are many institutes and customs and it tries to giving a clear idea about how they work specialy among the complicated reality's changes and the contradicted decisions, interactions, causes and the results because it could be many unexpected results of our actions

that's why we need to analyse this reality from vision based on integral between the diffrent analyse's levels as " Neofunctionalism "does , in a way to understand the society with its reality ,its building elements and the active nature of human who tries to change his curcumstances and make them better throught time and space.

We try to do that throught an analysis based on showing specific knowlegable characteristics of " Neofunctionalism " theory to analyse practical sides as jeffrey C. and Smelser.. , do

مقدمة:

تعتبر النظرية Theoryعنصرًا هامًا في البحث العلمي، فهي نشاط ذهني وعملية فكرية تفيد الباحث في تفسير الظواهر المختلفة، ومن ثم فهي تقدم فهمًا علميًا لها. وتحاول النظرية السوسيولوجية كشف المبادئ العامة التي تمكن الباحثين من فهم الواقع الاجتماعي فهمًا متناميًا ومتطورًا.

واستنادًا إلى ذلك حاولت النظرية البنائية الوظيفية تفسير الظواهر الاجتماعية من خلال ما يمكن أن تقدمه من أفكار حول كيفية عمل المجتمعات، ولماذا توجد المؤسسات والأعراف ؟، والنظر إلى المجتمع باعتباره نسق في حالة توازن، وهذا النسق هو بناء منظم وثابت مكون من عدد من الأجزاء المترابطة، ولكل جزء (أو نظام)من هذه الأجزاء وظيفة يؤديها للحفاظ على بقاء النسق وتوازنه. خاصة مع الجهود التي بذلت ولا تزال تبذل في إعادة بناء الوظيفية على المستويين النظري والإمبريقي، ونقد وإعادة تفسير طروحات بارسونز، وقبول تصنيفاته على أنها أدوات مساعدة على الوصف، والتخلي عن فكرة النظرية التفسيرية، للتغلب على بعض نقاط الضعف في الوظيفية البنائية، وتثبت لنفسها مكانا دبت فيه الحيوية، بظهور واستكمال مشروع **الوظيفية الجديدة Neofunctionalism**، في الثمانينات والتسعينات من القرن الماضي، كما اعترف بذلك **جفري ألكسندر Jeffrey C. Alexander** في كتابه الموسوم بـ **"الوظيفية الجديدة وما بعدها "Neofunctionalism and after" (والاس، 2012، 114-124)**، كنتيجة لتطور المعرفة في علم الاجتماع، والحديث على ما بعد الحداثة، واستجابة للتغيرات الموضوعية في الحياة الاجتماعية الواقعية المعقدة، من القرارات المتناقضة والتفاعلات والأسباب والنتائج من الكثرة بحيث ستحصل عواقب غير متوقعة لأفعالنا. مما يقتضي تحليل هذا الواقع وفق رؤية متعددة الابعاد.

ظهرت الوظيفية الجديدة كحركة توليفية، تحاول التوفيق بين النظريات بعيدة المدى؛ والنظريات قصيرة المدى، بهدف تقديم وصف عام للعلاقات المتبادلة، متجسدة في فكرة التوازن؛ بوصفها نقطة مرجعية، وليست بوصفها شيئا موجودا في الواقع، فالتوازن هو دائما توازن متحرك، وهذا ما يفسر استعمال مفهوم التوازن الدينامي، واعتباره من أهم المفاهيم

عند الوظيفية **(غربي، 2007،114)**، وإعادة ربط المستوى النظري بنتائج الدراسة الميدانية، كنقطة مهمة في التجديد في الوظيفية، تبين لنا إمكانية الانفتاح على وظيفية **بارسونز**، وتمديد وتوسيع طروحاتها؛ لتشمل تماثل القوة وتفاضلاتها، وما ينشأ عنها من تغيرات وصراعات؛ باعتبارها إحدى الجوانب في الواقع الاجتماعي؛ التي تتكامل مع افتراضات التكامل والتوازن، لتجاوز الفهم الشائع باعتبارهم نظريات متعارضة، إلى جانب احتواء الاتجاهات السوسيولوجية كالتفاعلية الرمزية والاختيار العقلاني، والظاهراتية وعودة الفاعل... وغيرها من النظريات قصيرة المدى التي تنطبق على مؤشرات الدراسة الميدانية، الأمر الذي يعتبر مفيدا وينطوي على ثراء عظيم، كما يؤكد على ذلك المنظرين الوظيفيين الجدد؛ وعلى رأسهم **ألكسندر جفري** قائد الوظيفية الجديدة، الذي عمل على تفصيل الميول والغايات المتنوعة للوظيفية الجديدة على الوجه الآتي:

1- أنها من أجل إيجاد وخلق شكل من الوظيفية متعددة الأبعاد، وتتضمن مستويات التحليل بعيدة المدى؛ إلى جانب مستويات قصيرة المدى.من أجل دفع الوظيفية إلى ترك ورفض تفاؤل بارسونز بالحداثة.

2- العمل من أجل حركة ديمقراطية واضحة في التحليل الوظيفي .

3- استدماج منظور الصراع.

4- استدماج الإبداعية التفاعلية والتأكيد عليها. **(الحوراني: 2008، ص123-126).**

أولا- أعمال منظري الوظيفية الجديدة:

تتضح أعمال منظري الوظيفية الجديدة في هذه النقاط:

1- جفري ألكسندر Jeffrey C. Alexander :

- تمثل أعمال ألكسندر مساهمة في الحركة النظرية الجديدة.
- اعتراف ألكسندر بانتهاء مشروع الوظيفية الجديدة.

- نجاح الوظيفية الجديدة في الاعتراف ببارسونز كواجد من أعلام علم الاجتماع الكلاسيكي، مما يعني أن موقف النظري لبارسونز لن يسيطر على الاعمال النظرية المعاصرة.
- يعتبر ألكسندر الوظيفية تيارا حيويا في الاعمال المعاصرة ألكسندر، حيث تمثل خيطا قويا في نسيج الحركة النظرية الجديدة.
- يتوقع ألكسندر استمرار الوظيفية الجديدة في إنتاج دراسات ت سوسيولوجية خلاقة وهامة مؤكد أن النجاح الأساسي لما يقع ما وراء نطاقها كذلك.
- انفصال ألكسندر عن بارسونز من حيث تركيزه على التوازن في المستوى بعيد المدى.
- ينظر ألكسندر إلى الثقافة باعتبارها متجسدة في كل من المؤسسات الاجتماعية والشخصيات الانسانية.
- يستخدم ألكسندر الدراسات الامبريقية لتوضيح كيف أن الأنماط العميقة للمعنى يمكن أن تساعد في فهم قوة العنف والانحلال وكذالك استمرارية وجود الأمل.
- اعتراف ألكسندر بتحوله عن اتباع بارسونز بتجاهله النظام في حياة الناس والتنظير ضمن النظريات السوسيولوجية قصيرة المدى على نحو أكثر وضوحا ومباشرة، ويتضح هذا الامر في أعماله الجديدة التي قدمها حول الفعل حيث عرف الفعل باعتباره حركة لأشخاص حقيقيون وفعالون ويتنفسون وهم يشقونطريقهم عبر الزمان والمكان، مؤكدا أن الفعل يتضمن بعد من أبعاد الارادة الحرة أو القوة، وهو بهذا الاجراء يمد نطاق الوظيفية لتشمل بعض اهتمامات التفاعلية الرمزية **(الحوراني،125،2008-126)** .

2- نيل سملسر Neil smelser:

- قام بتأليف كتاب الاقتصاد والمجتمع بالاشتراك مع بارسونز.

- شرع سملسر- بتأسيس مفهوم التضارب أو ازدواجية المعنى Ambivalence كعنصر أساسي من أجل فهم سلوك الفرد والمؤسسات الاجتماعية، والظرف الانساني العام ضمن الحركات النظريات الجديدة.
- يركز منظور سملسر بالمقارنة مع بارسونز على نظرية التضارب (الاضطراب عند فرويد)، حيث تقتضي طبيعة التضارب ان تشكل توجيهات مؤثرة متضاربة إزاء نفس الشخص أو الموضوع أو الرمز.
- يرى أن مبدأ التضارب ونتائجه من الحقد والمشاهنات التافهة.إ.أكثر قابلية للتطبيق ضمن نطاق المواقف التي يعتمد فيها الأشخاص على بعضهم البعض، مثل المحبين والوالدين والأصدقاء.
- يعمل سملسر على منظور الجرح الثقافي أو الإيذاء الثقافي Cultural Trauma والذي يشير بأنه "عندما يشعر أعضاء الجماعة أنهم تعرضوا لحادثة مريعة تترك علامات يتعذر محوها، من وحي جماعتهم، وتمغ ذاكرتهم إلى الأبد، وتغير هويتهم المستقبلية بطرق جوهرية متعذر تغييرها"**(والاس،116،2012-118)**

3- نيكولاس لومان:

- نظر لومان إلى نظرية بارسونز باعتبارها حدثا تاريخيا هاما لأنها تمثل المحاولة الوحيدة التي قدمت إنتاجا نظريا.
- يعتقد لومان أن نظرية بارسونز تفتقد إلى مفاهيم مرجعية الذات وتخلوا من التعقيد.
- تمثل مراجعة الذات عند لومان ظرفا لعمل النسق بطريقة فعالة. ويعني أن النسق قار على ملاحظة ذاته، وأن ينعكس على ذاته وعلى ما يفعله،ويستطيع أن يتخذ قرارات نتيجة لهذه الإنعكاس.تمتلك الأنساق المراجة للذات القدرة على رسم الخطوط الكبرى لهويات ذاتها.إنها تستطيع وصف ذاتها من خلال وضع حدود حسب ما تكون وما لا تكون.بمعنى آخر، إن النسق يمتلك استقلالا بنائيا.

- يرى أن النسق الاجتماعي ينبثق حيثما وجد تفاعل بين الأفراد، حيث يوجد حيثما كان هناك أفعال ذات معنى لعدة أشخاص، وكانت هناك الأفعال مترابطة، ومن ثم ..تكون منفصلة عن البيئة.
- حسب ما يرى لومان هناك ثلاثة أنماط من الأنساق الاجتماعية، هي: أنساق التفاعل (تفاعلات الوجه للوجه للبشر)، وأنساق التنظيم (حيث يتم ربط العضوية بظروف محددة)، ةالأنساق الاجتماعية (كل ما يطوق النسق الاجتماعي، والمجتمعات الكلية).
- يوضح لومان أن المجتمع معق إلى حد كبير بالنسبة للمعايير المشتركة أو حتى تعميم القيمة.
- يشير لومان، في عمل متأخر له إلى الجوانب السلبية (المعوقات الوظيفية) للحداثة.ويرى أن المجتمع يواجه تحديات النتائج التامة لخياراته البنائية مثل المشكلات البيئية الناتجة عن عقلانيته ويشير كذلك إلى نما الإدراك بالمخاطر الكونية المنبعثة من المشكلات البيئية المعاصرة والانزعاج منها، والنضال من أجل الحفاظ هلى مستوى الرفاه الاجتماعي.وفي الحقيقة، فإن لومان يصف هذا بأنه منطقة القلق غير المتقنعة"**(والاس،119،2012-124).**

ثانيا- تقديم نموذج تطبيقي للنظرية الوظيفية الجديدة:

سنحاول في هذه الدراسة تقديم نموذج لتوظيف المسلمات للنظرية الوظيفية الجديدة لتحليل احد الأبنية الاجتماعية ، والاستفادة منها في الدراسة الميدانية، وتطبيقها على أهم مؤشراتها المدروسة ضمن موضوع التربية البيئية ودورها في التنمية المستدامة بداية بـ:

1- خلق شكل من الوظيفة متعددة الأبعاد، ويتضمن مستويات التحليل بعيدة المدى وقصيرة المدى:

سنعتمد في هذا العنصر على طروحات بارسونز، كأكبر النظريات السوسيولوجية اتساعا وشمولية، مع موازنة هذا الاهتمام في البحث الإمبريقي، والدراسات الإحصائية،

والنظريات قصيرة المدى وفق ما تطرحه الوظيفية الجديدة، وذلك من خلال صياغة فرضيات إمبريقية من أفكار وطروحات بارسونز واختبارها في الواقع، والعمل على جمع البيانات وتحليل النتائج، أي من خلال الدراسة الوصفية كما تسعى إليه الوظيفية الجديدة، وذلك وفق تحليل سوسيولوجي لمختلف الأدوار البنائية الفاعلة لأجزاء التربية البيئية المترابطة مع بعضها البعض كمدخلاتها؛ والمتمثلة في تحليل مضمون كتب التربية المدنية والجغرافيا، وعمليات التنشئة الاجتماعية الصفية واللاصفية؛ وسط النوادي البيئية المدرسية، ومخرجاتها؛ والمتمثلة في تلاميذ السنة الرابعة من التعليم المتوسط، بقياس الاختبار المعرفي لأدائهم وأدوارهم الوظيفية نحو التنمية المستدامة، والتي تكون أجزاء بنائية مترابطة في نسق التربية البيئية؛ لتحقيق التنمية المستدامة.

ولتتبين الصورة الكلية لكيفية تحقيق التوازن في نسق التنمية المستدامة، وتكامل أجزائها مع بعضها؛ بالاعتماد على مستويات النسق الأربعة عند بارسونز، واعتبارها وقبولها كأدوات مساعدة للوصف، كما جاءت في كتاب **(والاس، 2012، 64-58).**

معتمدين على ما أشار اليه بارسونز بأن الناس يستدمجون قيم المجتمع، أي أنهم يجعلون القيم الاجتماعية المتضمنة في النسق الثقافي ملكية لهم، وذلك من خلال تعلمهم من قبل فاعلين آخرين في النسق الاجتماعي ما هو متوقع منهم، بكلام آخر أنهم يتعلمون توقعات الدور Role expectation، ولذلك يعتقدون مشاركين على وجه تام في المجتمع. وهكذا تأتي القيم من النسق الثقافي وتوقعات الدور والتوقعات المعيارية المطابقة للقيم الثقافية التي يتم تعلمها في النسق الاجتماعي، وتأتي هوية الفرد من نسق الشخصية وتأتي الأداة السوسيولوجية من العضوية السلوكية **(والاس،2012، ص58-68).**

حيث يلاحظ بارسونز؛ أن وحدة الفعل تقتضي- تقييم الفعل تحليليا إلى عدة عناصر، أي أن الفعل يوجد في أنساق والأنساق التي تحتل مكانة مركزية بالنسبة للفعل هي: نسق الشخصية وهذا النسق يعكس منطلقات الحاجة، والنسق الاجتاعي ويعكس توقعات الدور، والنسق الثقافي ويعكس التوجهات القيمية **(الحوراني،2008، 172)**، مع العلم أن كل نسق فرعي يتفاعل ويتبادل العلاقات مع كل نسق من الأنساق الأخرى، جميعهم يرتبط في شبكة من الاعتماد المتبادل، بالرغم من أن كل منهم يبقى محتفظا بدرجة

من الاستقلال، بحيث يمكن تميزه على المستوى التحليلي عن الأنساق الأخرى **(روشيه، 1981، 104).**

و بالتالي فإن تحديد هذه المفاهيم يعد أكثر من ضرورة.

1- النسق الثقافي Cultural system:

يعتبر مفهوم النسق الثقافي بأنه:" التوجه المعياري للفعل يعمل من خلال رموز إدراكية وتعبيرية وتقويمية" **(الحوراني، 2006، 169).**

كما يشيرالنسق الثقافي إلى: مجموعة القيم والمعايير التي تساعد على خلق التضامن والولاء، والضبط وتؤكد على أن النسق الاجتماعي يتصف بقدر من الثبات النسبي عبر الوقت **(روشيه، 1981، 106).**

في حين يتحدد مفهوم النسق الثقافي عند بارسونز" الذي يعتبره المعنى والنسق الرمزي هما وحدته الأساسية...، ومن أمثلة هذه الانساق الرمزية المعتقدات الدينية، واللغات والقيم الوطنية.وكما يمكن أن يتوقع فإن بارسونز يركز في هذا المستوى على القيم المشتركة" **(والاس،2012، ص67).**

وعليه فإن تناول هذا المفهوم في هذه الدراسةيشير إلى التوجيهات القيمية، والمتمثلة في مختلف مفاهيم التربية البيئية والتنمية المستدامة؛ التي تم دمجها في محتوى كتب تعليم الجغرافيا والتربية المدنية، ومن خلال التنشئة الاجتماعية الصفية وغير الصفية؛ يتم استدماج هذه المفاهيم من قبل تلاميذ مؤسسات التعليم المتوسط؛ الذين يجعلون من مفاهيم التنمية المستدامة والتربية البيئية ملكية خاصة بهم، ضمن الطريقة أو العملية؛ التي يتفاعل بموجبها الأستاذ والتلاميذ، لتبين العلاقة بين النسق الثقافي والنسق الاجتماعي.

2- النسق الاجتماعي Social system:

يشير مفهوم النسق الاجتماعي إلى: " بناء العلاقات بين الفاعلين كما هي منتظمة في العملية التفاعلية، وبناء على ذلك فإن مشاركة الفاعل في علاقة تفاعلية نمطية هي الوحدة الأكثر أهمية في النسق الاجتماعي...، الذي يعكس عملية تفاعلية علائقية تحت ظروف معينة" **(الحوراني، 2006، 145-146).**

كما يعرف النسق الاجتماعي بأنه: "البوتقة التي يمارس في إطارها الفرد دوره الاجتماعي ووظائفه الاجتماعية بوصفه كائنا اجتماعيا، في إطار الفرص البنائية المتاحة"**(رمزي،2003، 230).**

في حين يعرف رث والاس والسون وولف النسق الاجتماعي بأنه:" يتألف من جمع من الفاعلين الأفراد الذين يتفاعلون مع بعضهم في موقف يتضمن على الأقل جانبا فيزيقيا أو بيئيا، وفاعلين مدفوعين بموجب الميل إلى تحقيق أقصى- حد ممكن من الإشباع، والذين تخلل علاقتهم بموقفهم وتعريفهم له رموز مشتركة مبنية ثقافيا" **(والاس،2012، 66).**

ولذا سيتم الاعتماد على ثاني المستويات التحليلية عند بارسونز، المعروف بالنسق الاجتماعي الذي يشير إلى عملية تفاعلية علائقية تحت ظروف معينة، تتألف من جميع الفاعلين التربويين الذين يتفاعلون مع بعضهم داخل الصف وخارجه؛ وسط النوادي البيئية، بمؤسسات التعليم المتوسط، مدفوعين بموجب الميل إلى تحقيق أقصى- حد ممكن من الإشباع، كمشاركين يتخلل علاقتهم بموقفهم وتعريفهم له؛ رموزا ومفاهيم مشتركة و منظمة توجههم نحو ما هو متوقع من أدوارهم.

3- **نسق الشخصية Personality system**:

يتحدد مفهوم نسق الشخصية على أساس مجموعة من "منطلقات الحاجة التي تمثل تنظيما للميول الحافزية؛ حسب مقتضيات النسق الاجتماعي والثقافي، وتأتي عن طريق التعليم" **(الحوراني:2006، ص196).**

كما يشير مفهوم نسق الشخصية إلى:" مجموعة من الاستعدادات والميول التي تقود الفاعلين نحو سلوك يلائم مصالح النسق، أي نحو القابلية الاجتماعية والتضامن واستدماج المعاير، القيم والإيديولوجيات، وهذه الدافعية لا تتولد داخل النسق الاجتماعي ذاته كما عرفه بارسوز، ولكنها تأتي من مجموع أنساق شخصية الفاعلين المشاركين في النسق الاجتماعي" **(روشيه: 1981، ص107).**

في حين يركز بارسونزتعريفه في هذا المستوى التحليلي لنسق الشخصية: " على حاجات الفرد ودوافعه واتجاهاته مثل الدافعية نحو الإشباع" **(والاس،67،2012).**

ويتضح مما سبق أن مفهوم نسق الشخصية: سيعتمد على حاجيات التلاميذ ودوافعهم واتجاهاتهم، ومهاراتهم، ومعارفهم التي ينطلقون منها ضمن ترتيب معين لأهم خصائصهم التي تكون شخصيتهم، والتي تظهر في مفاهيم التربية البيئية المعريفية والوجدانية والمهارية، التي استدمجت فيها التوجهات القيمية لمفاهيم التنمية المستدامة، لبناء شخصية التلاميذ كفاعلين مدفوعين بإشباع الذات، بسبب طبيعة نسق الشخصية لديهم، وتتضمن عملية الإشباع جانبا بيئيا، يضع حدودا حول الموقف الذي تتم فيه عملية التفاعل.

وهذا بذاته يمثل وظيفة المتعلم العضوية السلوكية،المرتبطة بموقف تحقيق التنمية المستدامة، الذي يتطلب ملكية براعة معينة، ومهارات جسدية لتحقيقه، والتي يحصل عليها التلميذ باستدماجه لمفاهيم التنمية المستدامة والتربية البيئية، بجعل هذه المفاهيم المتضمنة في النسق الثقافي ونسق الشخصية ملكية لهم، وذلك من خلال تعليمهم وتنشئتهم من قبل الأساتذة الفاعلين، داخل الصف وخارجه؛ وسط النوادي البيئية المدرسية في النسق الاجتماعي، وما هو متوقع منهم؛ بأنهم سيتعلمون **توقعات الدور** "التي يعتقد الشخص أن الآخرين ملزمون بآدائها نحوه في موقف معين. وهو أيضا ذلك الدور الذي يعتقد الشخص أن الآخرين يتوقعون منه القيام به. على أن هذا الدور يتطابق مع متطلبات الدور أو التوقعات الفعلية للآخرين، أو مع تحديد دوره الشخصي **"(غيث،392)**، وبذلك يعدون مشاركين على وجه تام في تحقيق التنمية المستدامة

وجميع الأنساق السابقة تواجه أربعة مشكلات أساسية، أو أربع حاجات أساسية هي:

- **التكيف: Adaptation**:والذي يمثل ويعني إشكالية تأمين المصادر الكافية من البيئة، وتوزيعها عبر النسق، وترتبط بالنسق العضوي والنسق الاقتصادي.

- **تحقيق الهدف Goal attainment**:تعني أن النسق يحتاج إلى سد موارده وطاقاته من أجل تحقيق أهدافه؛ مع ترتيب الأولويات بينها، وترتبط بالنسق الشخصي- في وحدة الفعل الصغرى، بينما يرتبط بالنسق السياسي في التحليل النسقي للمجتمع.

- **التكامل Integation**: الحاجة إلى تنسيق ومواءمة، وتنظيم العلاقات بين مختلف الفاعلين، والوحدات ضمن النسق، وهكذا يتم منع التداخل المتبادل؛ من أجل حفظ عمل

النسق؛ من خلال عملية الضبط الاجتماعي وتطبيق المعايير، وترتبط بالنسق الاجتماعي في وحدة الفعل الصغرى، بينما ترتبط بنسق الروابط الاجتماعية في التحليل النسقي للمجتمع.

حفظ النمط الكامل وإدارة النمط Latent pattern mantenance and tension managementويشير إلى الحاجة للتأكد من أن الفاعلين يمتلكون دافعية كافية لممارسة أدوارهم في النسق، أو الحفاظ على نمط القيم والحاجة إلى تقديم ميكانيزمات من أجل إدارة التوتر الداخلي، بمعنى حفظ نسق القيم مصونا، وضمان تكيف أعضاء النسق؛ من خلال فعل القيم الاجتماعية للأعضاء الجدد، واستحضار الالتزام القيمي **(والاس، 2012، 84-86).**

لقد تعامل بارسونز؛ مع مستلزمات الوظيفة لأنساق الفعل، باعتبارها تحقق في تبادلها وتقاطعها التكامل والتوازن، ولكن يمكن النظر للعملية التفاعلية بين الأنساق في ضوء مستلزماتها، كعملية تحتوي نظرية الصراع والنظرية التفاعلية الرمزية والفينومينولوجيا والاختيار العقلاني وعودة الفاعل، كأهم نظريات ومستويات التحليل قصيرة المدى، والتي تم التطرق إلي بعضها في عنصر المقاربات النظرية للتربية البيئية، وبينا أوجه التقارب والاستفادة منها؛ مع الدراسة الراهنة.

2- دفع الوظيفية إلى ترك ورفض تفاؤل بارسونز بالحداثة:

إن قيم الحداثة ذات النزعة العمومية؛ ليست في حد ذاتها بقادرة على جذب الالتزام الشخصي بها، أو الإبقاء على ذلك الالتزام، وليس لزاما عليها أن تكون كذلك قيم الحداثة ضرورة لأي مجتمع، ولكن هذه القيم بحد ذاتها تساهم في تلبية حالة من عدم الانتماء بدليل تلك الجهود المبذولة في صياغة نظريات التحديث في مجال التنمية، التي وفرت الرفاه المادي للناس في البلدان الغربية المصنعة، وفقدت طريقها ومعناها وحتى هويتها عند تطبيقها على بلدان العالم النامي، وخلفت آثارا مدمرة في المجالات البيئية، والاجتماعية، والثقافية في هذه الدول، وغيرها من الصعوبات المتنوعة، والمتداخلة التي تكشف عن الحاجة إلى خلق نماذج جديدة، وأخرى أكثر دقة على الأقل في الوقت الحالي، والمتمثلة في التنمية المستدامة، بعدما إنتهت الدراسات السوسيولوجية؛ إلى أن جميع النظريات في التغير والتحديث غير قادرة

على فهم الأهداف المحركة، أو الدوافع المؤدية إلى تجنب مشاكل المجتمع الأساسية أو القضاء عليها **(أبو كريشة،2003، 11-16).**

الأمر الذي تؤكده النظرية السوسيولوجية ذات الأبعاد المتعددة، كما بينته النظرية الوظيفية الجديدة في أعمال **ألكسندر،** والتي تقر بها نظرية **بارسونز**؛ فضلا عن اعترافها بأن هناك تعدد في العمليات السببية الفاعلة في الحياة الاجتماعية، وهذا بمنزلة القول إن العالم لا يمكن أن يرتب بسهولة حسب نظام يحفظ الملفات له مفتاح وحيد، حيث يتم تبني الطريقة الوصفية في الدراسة، انطلاقا من افتراض أن العمليات السببية يمكن تحديدها عينيا، ويبدو أن التحديد النظري للآليات والعمليات السببية قد فقد. وأن كل ما يبقى هو الفكرة القائلة إن العالم مكان معقد، بحيث نرى إحدى نتاجات ما يظهر أنه الطبيعة المبهمة للحداثة، وهو التخلي الجزئي عن محاولة إيجاد أي تماسك كامن في العالم، وهذا ما جعل انفتاح نظرية **بارسونز** على مصراعيها بهذا الشكل، بحيث غدت مصدرا يمثل هذا النوع الواسع من الأعمال **(كريب، 1999، 98-102).**

3- العمل من أجل حركة ديمقراطية واضحة في التحليل الوظيفي:

إهتم بعض الوظيفيين الجدد بالنظم السياسية؛ حيث أدخلوا جانب الصدفة، ويرون أن جماعات المصالح المتباينة، مثل حالة سيطرة البنى وأصحاب القوة المتصلبين فيها، و الأفراد المهمشين والمغتربين ضمن هذه البنى... قد تتوافق في نظام ديمقراطي وتلتزم بالوسائل الشرعية، وقد تلجأ في حالات إلى الصراع لتحقيق التوازن الدينامي **(عثمان، 2008، 77).** كما تظهر فكرة الديمقراطية في أن تتيح مؤسسات المجتمع للفرد أن يتعرف كذات فاعلة؛ من خلال التوفيق بين إعطاء معنى لحياته والاعتراف بالآخر، ليس فقط باختلاقه ولكنه كفاعل يجمع بين العالمي والخصوصي.الأمر الذي يتوافق مع المواطنة، لأن التنظيم الاجتماعي المعمول به لا يساعد على تحقيق هذا، وبالتالي لا يستطيع تحقيق التوازن الاجتماعي **(كابان، 2010، 227).**

4- استدماج منظور الصراع :

بتطبيق وإعادة ربط المستوى النظري لطروحات **بارسونز** بنتائج الدراسة الميدانية، كنقطة مهمة في التجديد الوظيفي، تبين تجاوز افتراضات التكامل والتوازن، باعتبارها إحدى الجوانب في الواقع الاجتماعي؛ الذي يحمل احتمالات التناقض والصراع، كجوانب أخرى من هذا الواقع، ويظهر ذلك في تجاهل بارسونز لمسألة القهر والقسر، الذي يمارسه المجتمع بفرض المعايير والقيم، فضلا عن النواحي المادية للفعل **(غربي، 2007، 115).**

حيث يقدم **ألكسندر** منطلق لنظرية سليمة؛ بدخول مختلف دروب الفكر؛ إلى نظرية **بارسونز** أمر ممكن، حيث يمكن أن ترى نظرية الصراع كنظرية طوعية للفعل، أي يمكن دمجها في نسق **بارسونز** النظري ذا الأبعاد المتعددة، حيث أن وظيفة القوة هي حفظ وحدة النسق، وتأمين الانصياع حينما لا تجدي المعايير والقيم نفعا، وأن وظيفة القوة تشمل أيضا كونها مصدر للشقاق والفرقة، لأنها تولد تعارضا في المصالح وتوقعات الدور، لأن وجود القوة أو السلطة بحد ذاته يخلق شروط الصراع، وهذا يعني أن بنى الأدوار تولد مصالح متناقضة وأخرى متكاملة، وليس كما أكد **بارسونز** على أن الجوانب التكاملية بحيث تلبي القوة حاجات النسق ككل **(كريب، 1999، 98-96)** والتأكيد على أهمية الأمن وحاجات المجتمع، على حساب المصالح والغايات؛ التي لا يمكن تلبيتها دون التغيير الاجتماعي، الذي تظهره نتائج الدراسة الميدانية في مستوى التوجيهات القيمية لمفاهيم التنمية المستدامة، والطريقة التي تشكلت وظهرت بها في محتوى كتب التعليم المتوسط من قبل النسق السياسي، ضمن قرارات وزارة التربية الوطنية وتهيئة الإقليم، كما بينت المقابلة أن الأستاذ خاضع في علاقة قوة معتمدة من قبل النسق السياسي، والمتمثل في المدير والمفتش، **(طويل،2013)**، والذي عبر عنها **سملسر** ضمن منظور **الجرح الثقافي** أو **الإيذاء الثقافي: Cultural trauma**. راجع في ذلك **(والاس،2012، 118).**

فالتناقضات والمصالح والوظائف التي تنتج ثقافات فرعية متعارضة، وإن كانت تستمر في الاعتماد على النسق الثقافي المعياري لتعليم التلميذ، رغم تباينها في إطار النسق الاجتماعي العام، ولكن تباين هذه الجماعات يمكن أن يحمل توجه آخر، ينمي اختلافات أساسية تنتج عنها عمليات صراع على المستوى الاجتماعي والثقافي، وهذا ما يظهر في

العنف الرمزي الذي يتفاعل به الأستاذ مع التلاميذ، واستقالة بعض رؤساء النوادي من وظائفهم، رافضين تبني قاعدة مشتركة مع المدير؛ كنسق سياسي، الأمر الذي يؤكد أن النسق الثقافي يتماشى في إطار النسق الاجتماعي الكلي، من خلال ما يستدمجه الفرد في بنائه الشخصي-، والذي يمثل جانب واحد من الحقيقة **(طويل،2013)**، حيث يقترح **ألكسندر**إضافة إلى إمكانية وجود قاعدة ثقافية مشتركة، باحتمال ارتباط التباين في البناء الاجتماعي، بتباين في الأنماط الثقافية داخل النسق الاجتماعي **(عثمان، 2008، 75-76).**

5-استدماج الإبداعية التفاعلية والتأكيد عليها:

كاستجابة للتغيرات المعرفية الحادثة في العالم، كإسهامات ما بعد الحداثة؛ التي أدت إلى ظهور موضوع غاية في الأهمية هو **عودة الفاعل**، الذي حسب الداعين إليه؛ قادر على إعطاء معنى جديد للمشروع السوسيولوجي، حيث يسعى كما تتضمن الوظيفية الجديد**استدماج الإبداعية التفاعلية والتأكيد عليها**، باعتبار الفعل حركة لأشخاص حقيقيون وفعالون ويتنفسون، وهم يشقون طريقهم عبر الزمان والمكان، كما يرى ويعرف **ألكسندر**الفعل؛ مؤكدا أن كل فعل يتضمن بعدا من أبعاد الإرادة الحرة أو القوة Agency، وهو بهذا الإجراء يمد نطاق الوظيفية؛ لتشمل بعض اهتمامات التفاعلية الرمزية **(والاس، 2012، 116)**، وعودة الفاعل.

وذلك بوضع التلميذ في مكانه الطبيعي داخل نسق المدرسة، كفاعل يشارك بكل حرية في بناء وتحقيق التنمية المستدامة، وسط النوادي البيئية المدرسية؛ التي تكون فضاء للتبادل والاتصال وتحفيز التلميذ، ليكون شخصية قادرة ومستقلة ومبدعة ومتحررة من كل وصاية، وأن يتيح له الاختلاف والتعبير عن آرائه وأفكاره بكل حرية؛ مع المحافظة على خصوصيته، ولا يكون موضوعا لبرامج تربوية وتعليمية، وهذا لا يعني فقدان وظيفة المعلم؛ بل يحصرها في الإصغاء والتسيير، كما تدعو إلى ذلك **النظرية الشخصانية؛** التي تركز انشغالاتها أساسا على مفهوم الذات، ومفهوم الحرية ومفهوم استقلالية الفرد، كما أنها تنطلق من فكرة مفادها؛ أن التلميذ هو المعني في أي موقف تعليمي بالتحكم في تربيته، باستعمال طاقاته الداخلية، كما تعتبر دور الأستاذ كمسهل في إطار علاقته بالتلاميذ، ضمن واجبه

الذي يهدف باستمرار إلى جعل الطفل يستحدث ذاته بنفسه (**Y.Berttrand ، 2001،** 17).

ويتحقق ذلك من خلال تنوع المعارف والأنشطة التربوية وسط النوادي البيئية، فهو بلغة **الان تورين**ليس إنتاجا وتكيفا فقط، بل إنه يخلق إنتاج نفسه وله القدرة على تعريف نفسه، وبالتالي يستطيع أن يقيم علاقته مع محيطه، ويغير محيطه عوضا أن يكون محددا من طرفه، من خلال ما يتعلمه وينشأ عليه وسط النوادي البيئية؛ التي ستقود مجتمع المدرسة إلى الأمام أو تقود العالم كحركات اجتماعية؛ كما يرى **الان تورين**،لأن المجتمعات تتعلم أن تعرف ذاتها اجتماعيا، عندما تعرف أنها نتاج عملها وروابطها الاجتماعية **(دبلة، 2011، 48-55).**

مما يجعلنا نقول أن التنمية المستدامة هي نتاج للفعل الجماعي لتلاميذ النوادي البيئية، كحركات اجتماعية، لأن الفعل الاجتماعي هو نتاج ومن خلق عمل الإنسان، وهذا الخلق ليس إلا جماعيا، كما تؤكد على ذلك **نظرية العمل الجماعي؛** أحد أهم مصادر **النظرية الشخصانية؛** التي تحمل مفهوم التربية المبدعة معنى الخبرة التربوية؛ التي تنشد إبداع الوجود للكائن الإنساني، والتطور المستمر لكل طاقاته الكامنة، وتتمركز حول تنظيم النشاطات التربوية؛ التي تتطلب المرونة وتعدد النشاطات المقترحة على المتعلم **(Y.Berttrand، 2001، 44-67)**،ليتعلم التلميذ بالخبرة والتجربة وسط النوادي البيئية، الأمر الذي ينعكس في شخصيته بكاملها، ويسلك التلميذ سلوكيات واعية وعن قصد، أو كما ترى **الفينومينولوجيا** قصدية الوعي **(عبد الرحمان، 2003، 205-235).**

هذه مختلف النظريات قصيرة المدى؛ التي تم استدماجها مع نظرية بارسونز، بهدف الوصول إلى التكامل والتوازن الدينامي، الذي يقر به الواقع الاجتماعي، وليس فقط مبني على افتراضات التكامل أو الصراع الحتمية، كما مر بالنظريات الكلاسيكية.

خاتمة:

قد أشارت هذه المحاولة التوليفية الجريئة والجادة؛ التي تسعى لتوجيه الانتباه إلى أن هناك وعي من قبل الكسندر" ، و"نيل سملسر" ، و "نيكلاس لومان"كأهم منظري

الوظيفية الجديدة بضرورة تجاوز المأزق النظري في علم الاجتماع، وإمكانية إيجاد نظرية شاملة في علم الاجتماع التي تجري في إطار الوظيفية الجديدة في توليف الأفكار وإدماج المنظورات السوسيولوجية، بخاصة أفكار القوة بمعناها الصراعي في الطروحات السوسيولوجية، ضمن النظرية الكبرى التي قدمها بارسونز حول الفعل الاجتماعي، ومن ثم إماطة اللثام عن سياقات المعنى المنبثقة عن الفعل وما يرتبط به من تفاعلات وعلاقات، تعمق الوعي بمحتوى الموقف الانساني وما يحيط به، ومختلف أنماط الفاعلين فيه لتسير قدما في مجتمعاتنا العربية التي تشهد حالة من الجمود الفكري واغتراب العمل النظري.

المراجع:

1- أبو كريشة،عبد الرحيم تمام. (2003)**دراسات في علم اجتماع التنمية.** الازارطية- الاسكندرية: المكتب الجامعي الحديث.

2- الحوراني، محمد عبد الكريم. (2008). **النظرية المعاصرة في علم الاجتماع.التوازن التفاضلي صيغة توليفية بين الوظيفية والصراع.** (ط1).الأردن: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع.

3- رمزي، نبيل. (2003). **السوسيولوجية المعاصرة.**الأزارطية-الاسكندرية: دار الفكر الجامعي.

4- روشيه، جي. (1981).**علم الاجتماع الأمريكي دراسة لأعمال تالكوت بارسونز.** (ط.1). القاهرة: دار المعارف.

5- طويل، فتيحة. (2012-2013).**التربية البيئية ودورها في التنمية المستدامةدراسة ميدانية بمؤسسات التعليم المتوسط بمدينة بسكرة**-أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع التنمية، قسم العلوم الاجتماعية، جامعة بسكرة.

6- عبد الرحمان، عبد الله محمد. (2003). **النظرية في علم الاجتماع- النظرية السوسيولوجية المعاصرة.** الأزارطية الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

7- عثمان، ابراهيم عيسى. (2008). **النظرية المعاصرة في علم الاجتماع.** عمان-الأردن: دار الشروق للنشر والتوزيع.

8- غربي، علي. **(2007). علم الاجتماع والثنائيات النظرية والتقليدية والحديثة.** جامعة منتوري قسنطية- الجزائر: مختبر علم الاجتماع للنشر والترجمة.

9- غيث، محمد عاطف.(د.ت.). **قاموس علم الاجتماع.**الأزارطية-الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

10- والاس، ورث، وألسون وولف. (2011-2012). **النظرية المعاصرة في علم الاجتماع تمدد آفاق النظرية الكلاسيكية.** (ط.1). (محمد عبد الكريم الحوراني، مترجم).الأردن: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع.

11- كريب، إيان. (1999). **النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس. (**محمد حسن غلوم، مترجم). عالم المعرفة. الكويت. العدد 244.

12- كابان، فليب، وجان فرانسوا دورتيه.**(2010). علم الاجتماع من النظريات الكبرى إلى الشؤون اليومية- أعلام وتواريخ وتيارات.** (إياس حسن، مترجم). (ط.1). دمشق: دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع.

13- **Y.Berttrand ، 2001**. (2001). **النظريات التربوية المعاصرة.** (محمود بوعلاق، مترجم) البليدة- الجزائر: قصر الكتاب للنشر والتوزيع.